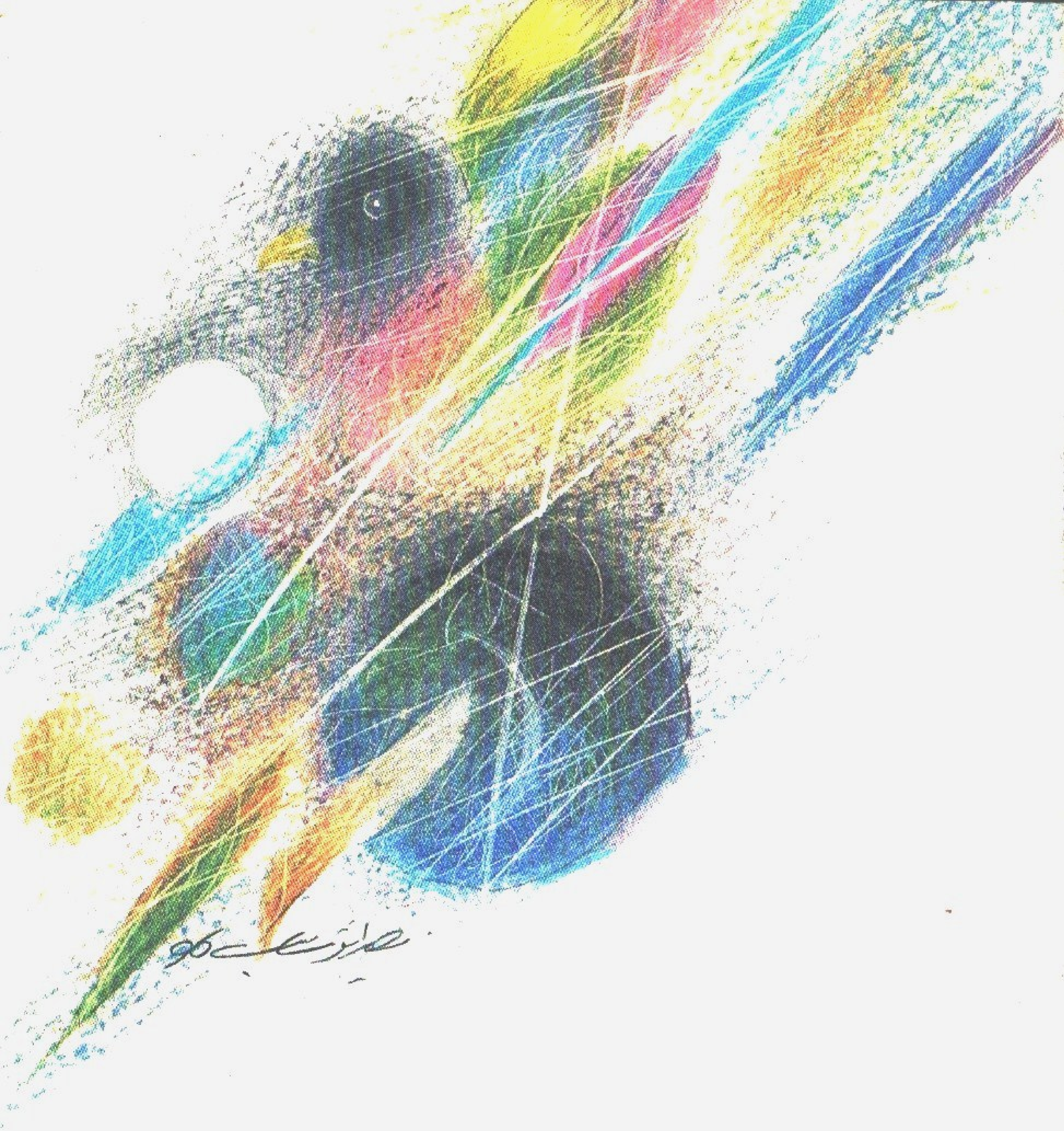

سيف الرحبي

جبال

جبال

جبال / شعر عربي
سيف الرحبي / مؤلّف
الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٦
حقوق الطبع محفوظة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج [illegible]
ص.ب: ٥٤٦—١١، العنوان البرقي: موكيالي، تلفون/ ٨٠٧٩٠٠
تلكس: LE/DIRKAY [illegible]
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان
ص.ب: ٩١٥٧ [illegible] تلكس ٦٨٥٥
التحرير والتدقيق اللغوي:
زهير أبو شايب
تصميم الغلاف والإشراف الفني:
[illegible] ®
الصف الضوئي:
ياقوت / عمّان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

سَيْفُ الرَّحَبِيْ

جَبَال

كتبت هذه النصوص بين عامي ١٩٩٤ - ١٩٩٦ بعُمان

▫ صحراء

في هذه الصحراء العاتية
الصحراءِ التي تسيلُ مع الشمسِ كثباناً وشياطينَ
تناسَلَ الأسلاف جَدّاً بعد جَدّ
ونبَتْنا مَصْلَ أشجارٍ صخريّة
راكضين بين الشاطئِ والجبالِ
بأرجلٍ حافيةٍ وقلبٍ مكلوم .

كبرُنا مع الجِمال والحمير

قُدْنا القطيعَ إلى مساقطِ الوادي
وشاهدنا القطا تغيبُ مع السراب
نصَبْنا شباكاً للثعالب
وأخرى لوعول الغيب ،
وحين سافرنا إلى بلدانِ العالي
لم نجد أثراً للأضحية في ثيابِنا
ولم نجد ضالّة الحنين

□ موسيقى

حين أخرجُ من البيت
أتركُ الموسيقى مفتوحةً
تحرُسُ أرواح الموتى .
موسيقى القدماء التي تحملُ رائحةَ العشب
وتحرسُ حدائقَ بابلَ
معلّقةً في الأعماق

حين أخرجُ من البيت

أتركُ كلَّ شيءٍ مغلقاً على نفسه
عدا الموسيقى تضطربُ في الرُدهاتِ الخالية
وعدا بضعَ محاراتٍ ،
التقطتُها من الشاطىء القريب
ليلةَ العاصفة

▫ عوارض تكييف

تصحو من النوم
غارقاً في بحيرةٍ من النعاسِ والوحلِ
تتلوّى في الفراشِ ،
رأسُك يَعُجُّ بالموتى
وقدماك ثقيلتان .
تتخيّل أمطاراً في الخارج
وجنائنَ يتنزَّهن فيها نساءٌ
مظلاّتهن صُنعت من القشِّ

سعيداتٌ يبتسمن للأفق
والبحرُ ، زبدُه يصلُ إلى النافذة . .
قدمان ثقيلتان
ورأس يَعُجُّ بالموتى .

ترانزيت

من أين جاءتها تلك التأتأةُ
في الكلام . .
كانت على شرفةِ المطار
تنظرُ في فراغٍ مدلهمٍّ
في نجوم الظهيرةِ الساطعة .
كانت قريبةً من نفسِها أكثَر من اللازم
لم تلتفت كثيراً لتلوّحَ بأناملَ
أو محرمةٍ

كانت تقفُ هكذا من غير شموخٍ
أو ذلٌ
أو ربما من غير تأمّلٍ . .

. . . . . .

. . . . . .

لم يبقَ منها ، عدا ظِلّها محفوراً
على الحائطِ
وعدا رائحةً تنتشرُ باستمرار
في أرجاءِ المنزل .

▫ منـــــازل

إلى أبي تمام

منازلُ كثيرةٌ يرتادُها الفتى
منازلُ مبعثرةٌ في قاراتٍ ومدنٍ
وعلى منعطفات حروبٍ وجبالٍ

منازلُ تُضيئُها الشموعُ وأخرى تعطسُ
فيها الحيتان
تمتدُّ من قَصَبةِ الجزائر حتّى القطبِ الغامض
وبلادِ الغال .

منازلُ تدحرجُ سكّانَها في الأحلام
وترعى قطعانَ الماشيةِ
في حقولٍ جافّة .
لا تستوي على الهضبات ،
إلاّ حين تُضيئُها عيونُ الثعالب
القادمةِ من التلال .

منازلُ الهاوياتِ المشطورةِ
بأقمار غزيرة .
نحن الّذين خَبرنا غرفها وغيابها الأكيد
لا نستطيعُ الذهابَ في الكلام ،
أبعدَ من القول :
مرّت قوافلُ من هنا
أو سالت بطاحٌ ،
أو نتحدّثُ عن معركة الجيران
وغزوةِ الذئاب

وذلك الجرادِ ،
الذي بدأت طلائعُه مع فجرٍ شتائي
ومع غجرٍ عابرين .

نحن الذين خبرنا غيابَها
وأرواحَ موتاها وحيواناتِها
مدفوعين بفتنةِ الأسحارِ ،
وهي تودّعُ آخرَ زائريها وسكّانِها .

في الماضي كانت لنا منازلُ
كانت لأجدادنا منازلُهُم
تلك التي بَنَوْها من صوفِ الماعز
ومن الطينِ
الطينِ الذي غرقت فيه ثيرانُ القريةِ
لحظةَ هياج .

كانت لنا منازلُ نأتيها في المساءِ لننامَ
أو (وهذا ما يحدثُ غالباً) نأتيها

في الصباحاتِ ونحن نتهاوى من السُكرِ
مستغيثين برحمةِ الحائطِ من صخَبِ الليلِ
من مخلوقات العنفِ العاري
ووحشةِ الطريقِ التي تسيلُ في أوردتِنا ورؤوسِنا
دماءً وذكريات .

▫ علاقة غاربة

ماذا يعني هذا الصمتُ الذي رانَ بيننا
ثمّة رغبةٌ سحيقةٌ في الكلام
رغبةٌ في القُبلة .
هذا الصراطُ الذي يفصلُنا
هذه الهياكلُ المحطّمةُ
هذه السفنُ التي تبحر بجلاّديها بيننا
ثمّةُ رغبةٌ سحيقةٌ في الكلام
رغبةٌ في القُبلة .

▫ ولادة

على ذُرى المكيّفات الغاضبة
تبني الطيورُ أعشاشَها
التي تموءُ تحتها القطط
تقفزُ من سلكٍ إلى سلكٍ
مفتونةً بالولادة
وفي المساء تغْمرُ المكانَ بالصياح
كأنما تتنبّأ بالحشْر .

عقاب

ستجتازُ ليلاً شرِساً وعقيماً
وتجتازُ المجزرةَ
حتّى تصلَ إلى طرفِ السرير
وكأنّما إلى طرفِ الكون
وبعدكَ القيامة .
لن ترى ممرّات الطفولة
ولن ترى الأعشاشَ والنخيلَ
ولثغةَ طيورٍ وليدة .

ليلٌ بعد ليل
ونهارٌ يجثمُ بمنكبيه على الثَقَلين
وعلى رأسه إكليلُ القسوة العتيد .

حكاية هذا الصباح

كان الراعي متّكِئاً على ذراعه
قربَ أشجار الغاف .
أغنامٌ تثغو وآفاقٌ تنكسر
وثمّة رعودٌ في رأسه تقرعُ بوّابة الشِعابِ
الشعابِ التي شهدت ولادتَه مع المَراعي والضباع .
كان الراعي ، حفيدُ الأنبياء
وآخرُ صولجانِ السلالةِ في تلك الأصقاعِ
متّكِئاً على ذراعه ، ذاهباً في نومه الأبدي .

□ شَبَه

لم نعدْ نشبه هذا البحرَ
ولا هذه الأرضَ
يبدو أنّ قروناً مرّت بزواحفِها
ونحن نيام .

▫ طائر

طائرٌ كبيرٌ يقفُ على السطح
طائرٌ يشبه ممحاةَ سحابٍ
وإذ حدّقتُ فيه قليلاً
نأى بجناحيه العريضين
خلفَ أفقٍ من ضباب .

▫ زيارة

لا يطرقون البابَ
ولا يستأذنون
يدخلون ، هكذا ، كلّ يوم
كانت ريحٌ خفيّة تسبقُهم
كأنّها نفثةُ مسحورٍ فوق بحيرة
يشربون ما تبقّى فىً الثلاّجة
ويغادرون .

غرفة

في غرفةٍ يسرحُ فيها البعوضُ
أنام مع أشباحي
متذكّراً حاناتِ طنجةَ
وشاعرَ الإسكندريّةِ العجوزَ
في مقهى الإليت .
كم كانت أيّامُك خضراءَ
حين كنتَ تدحَرُ الليل بفرجٍ
أو تسجنُ المساءَ في كأس .

□ سفر

في هذه البقاعِ القصيّة
هذه البقاعِ المهجورةِ حتّى من عواء الذئب
أسرجُ ضوءَ الشمعة
وأسافر .

▫ حنين الأعالي

خلعوا قلوبَهم وأوتادَهم
قلبوا الخيامَ على الأحصنةِ
تبادلوا حديثاً غامضاً
ورحلوا .

تركوا خلفهم مواقدَ وذكرياتٍ
سلكوا طريقاً غيرَ طريقهم
رأوا شِعاباً وأفاعيَ تسيلُ من اللهب

رأوا سماءً تنهارُ على ساكنيها
ورعوداً تمزّقُ جلدَ الأبديّة .
جرفوا الأوديةَ والأشجارَ بأقدام مُتعبةٍ
وحنينُهم دوماً إلى الأعالي
التي لن يصلوا إليها أبداً .

▫ غياب

عيونٌ زائغةٌ بالغيابِ
غريبةٌ أينما حلّت
كأيّامٍ خارجَ مدارِها الفلكيِّ
كجُرحٍ ضاقَ ذرعاً بالهواء
تدورُ فيَ محجرِها
تحدّقُ بغضب ، تضيءُ ، تنطفيءُ ، تتوسّلُ .
عرينُ النمورِ يأخذُ مداه في الغابة .

▫ في وصف رحلة

قمرٌ يولدُ من سحابةْ
ميلادُه العسيرُ لا يدهشُنا
لكنّه يذكّرنا بأقمارٍ ماضية ،
سفنٌ تعومُ في أفقٍ خالٍ
وأخرى مأهولةٌ بالأساطيرِ
الأساطير النجميّة التي كنّا نقطفُها باليد
ذروةُ جبلٍ تمتطي سماءً خفيضة ،
تكادُ تلمسُ الرأس .

الليلُ من خلفِنا
سهامُه ، شُهُبٌ وحكايات
وعيونُ صيّادين تمخرُ المياهَ
وأيديهم أيضاً . . .
أيديهم التي تخيطُ الفجرَ القادم
كما تخيطُ شباك الصيد .

▫ امرأة الأنباط

كأنّما الحياةُ انفجرت
دفعةً واحدةً من مضيق
كأنّما السُنونُ ساقت جيوشَها إلى الحافّة
كأنّما البحرُ
كأنّما الحاناتُ والمقاهي
ومساءاتُ المدن الكبرى .

نمرُ الغابة يلعبُ في عينيكِ

وأنتِ تحدّقين في بحرٍ هائج
حِذاء الأوابدِ الدكناء
بشعرِكِ المسترسلِ في الريح
كأنّما كنتِ قادمةً من عصورٍ أخرى
لُبدين شبقَ الذئبِ تجاهَ الفريسةِ
وريبةَ المسافرِ نحو الطريق .
قادمةً من عصورٍ أخرى
معبأةً بأحلامٍ شاقّة
بنظرة تتكدّسُ تحتَ سفحها الأزمانُ ،
الأزمانُ الخوالي التي تصهَلُ في ردهاتِها
الأحصنةُ .
وحيدةً مثخنةً بالبردِ والنعاس .
تكتظُّ الفنادقُ بروّادِها الأنيقين
والأنفاقُ بمشرّديها
وتكتظُّ السماءُ بالملائكةِ والمعجزات ،
وأنتِ مكتظّةٌ بالصحراء

بهديرِ الأنباط
قادمين من ضفافِ الصخر .

كأنّما الحياةُ
انبثقت دفعةً واحدةً
عندما التقينا لأوّل مرّةٍ
في البلادِ البعيدةِ عن مولدِ الشمس .

▫ منذ ستة وعشرين عاماً

كلّ صباحٍ
حين تستيقظُ من نومِك المليءِ بالمذابحِ والأحلام
تسألُ نفسَك
عاماً بعد عام
أمامَ أرضٍ صمّاءَ وأرخبيلٍ مغلق ،
منذ ستّة وعشرين عاماً
ماذا تفعلُ في هذه البلاد؟
ستّةٌ وعشرون مرّت

وأنت تذرعُ الأفقَ بقدمٍ مكسورةٍ
ورأسٍ غارقٍ في الجحيم .
بدايةَ الرحلةِ
ستحلمُ أنّ هناك مستقرّاً وكتباً
وربّما ثوراتٍ تقلبُ وجهَ العالم .

فمضيتَ ، تاركاً كلَّ شيءٍ وراءك
عويلَ أمِّك على سلّمِ البئر ،
الذي ظلَّ يلاحقُك في المدن والقارّات ،
نظراتِ أبيك الغاضبةَ .
مرابعَ طفولتِك بين الجبال والشُهُب .
ميلادَ النفطِ بين عظامِ الأجداد .
ماضياً وراء ندائِك ، في ليلةٍ
كانت فيها الرياحُ ثكلى ،
فجرَ ليلةٍ مُبهَماً .
سيكونُ هناك مستقرٌّ

ونساءٌ وثوراتٌ
وفي طريقِك عبرَ الصحراء
رأيتَ بدواً أوْقدوا نيراناً وكلاباً
دافنين أمتعتَهم في الرمل
رأيتَ المستكشفين يعلّقون خرائطَ الجزيرة
على رؤوسِ الأشجار
وآلاتٍ عملاقةً ، يحسبُها السكّان
نذيراً بالقيامة .
رأيتَ الأرضَ تهتزُّ ،
كما لو أنّها على كفٍّ عفريت
وجملاً يبتلعُ صاحبَه
كما تبتلعُ الصحراءُ العواصف .

بعد قليلٍ ستجتازُ البواديَ نحو الأحلام
ستجتازُ حاجزَ السَحَرة
ورافعاتِ الحِبالِ الأسطوريّةَ .

لكنَّ الحافَّةَ لا تنتهي
إلاّ إلى أعماقِ الهاوية
والصحراءَ تمتدُّ والغبارَ يعمي الدليلَ
والقافلةَ تتلاشى
خريفٌ يمرُّ ومدنٌ تتشظّى
كنيرانٍ أخمدتها شهُبٌ بين المجرّات
وبحارٌ تموتُ بالسكتةِ .
وأنت تعدُّ الأعوام
حالماً باجتياز المضيق
شعرُك يغزوه الشيبُ
وجسدُك يتلوّى من ألمٍ غامض
كأنّما رياحٌ هُوجٌ قذفت أحشاءَها
في أعماقِك .
ترنو إلى نجمٍ شاحبٍ وسط سماءٍ قَفرٍ
تتقاطرُ في مراياها
النساءُ والوجوهُ والأصدقاء .

أيُّ الأماكن كان مستقرّاً
أيُّ طفولةٍ كانت لك؟
وبأيِّ زمنٍ رميتَ سهامَك
في عيونِ الفجر .
فسقطت عصافيرُ الأبديّة .

لا تتذكّرُ شيئاً
لا تنسى شيئاً
مشدوداً إلى وَتدِ الجبال
تمشي مغمضَ العينين
في طرقاتٍ مليئةٍ بالذئاب .

كم مرّةً نمتَ في محطّاتِ القطار
كم مرّةً تقاذفتك أيدي البوليس العنصريّ .
في غرفٍ باردة ،
مع غرباء مثلِك؟
ربّما حصلَ ذلك في زحمةِ الكوابيس

حيثُ الأفعى أفاقت بعدَ نومٍ طويل
لتلتهمَ الجنّة
وتلتهمَ احتمالاتِ العودة .
قلت لا بأسَ
المهمُّ أنّنا موجودون على هذه الأرض .

هكذا
من غيرِ أحلامٍ ولا معجزات
موجودون في أرضِ الله والبشر
الأرضِ . . . يكفي أنّها تتّسعُ لسريرٍ وقبرٍ ،
وبينهما ضحكةٌ سوداء .
ولكن قبلَ ذلك
هناك طرقٌ طويلةٌ تفضي إلى ظلمةٍ
تنفجرُ منها مياهٌ وبساتينُ
في قلبِ كلِّ بستانٍ امرأةٌ تعوي من الشبق
وأصدقاءٌ لا تنقصُهم الخيانةُ

والبولُ على الجثث .
يمكنك أن تستريحَ من عناءِ الرحلة
وتقطنَ فندقاً في مركز المدينة
حيثُ في كلِّ صباحٍ تجلسُ على الشرفة
تشربُ القهوةَ والنبيذَ
وترقبُ الأحياءَ والأمواتَ
حشوداً تسحبُ أمعاءَها في الأزقّةِ
وحروباً يستعرُ لظاها في المخيّلة .
أو ربّما لا تفكرُ في شيء
عدا فنجانَ القهوةِ المزدحمَ سطحُه بالكواكب
فهناك دائماً في المدينةِ أو القريةِ
أو الثكنة
من يقومُ كلَّ صباحٍ
ماضياً في طريقِه إلى الهدف ،
الحمّاراتُ تفتحُ أبوابَها
(ترمقُ النادلَ ينظّفُ الطاولاتِ

في الضوءِ الخافتِ للعاهرات)
والموظّفون يحتشدون في الساحاتِ والمكاتبِ ،
وكذلك العمّال
والكهَنةُ والغَرقى
لا يحتاجون إلى قافلةٍ
أو دليل .

■ الضيف الأبدي

هذا الأرقُ
هذا الضيفُ الأبديُّ على كاهلي
أرضٌ عدوّةٌ تنفجرُ
ثمّ تختفي بسكّانِها في الرأس .

□ □ ( )

كم من الأحقابِ مرّت
على ذلك النشيدِ الكاذب

□ □ ( )

صرصارُ الليلِ الأعورُ
بعينِه الوحيدةِ ، يرمقُني
متحفِّزاً لا أنام .

□ □ □

أحاولُ أن أبدّدَ الوحشةَ بالكتابة
لكنَّ الأفقَ يفرُّ من يدي
وطائرَ الصيفِ القبيحَ يرتطمُ بالحائط .
لقد نسيتْ أمّي رضاعتي
ونسيَني الراحلون .

□ □ □

أنظرُ خلفَ سورِ الحديقةِ المهدَّمِ
فأرى أيّامي هاربةً
كأنّما من جيشِ عدوٍّ غامض

هذيان

الجبال والسحرة

هذيان الجبال والسَحَرة

لقد ذهبوا بعيداً صوبَ أنفُسِهم
وذهبوا في الوحشةِ .
أيّامٌ تتلوها أيّامٌ ،
الديارُ تضمحلُّ في عينِ عاشقِها
والجبالُ عرينُ الذكرى
تلمسُ النسورُ بيوضَها ،
الأقربَ إلى ألوانِ الرمالِ والصخور
من فرطِ ما ارتطَمَت بالأزليّة .

ليس بيني وبينَكِ
أيّتها الساحرةُ الوَلودُ
إلا هذه الكثبانُ من الرمل
وهذه الأزمنةُ المكدّسةُ أمامَ بابي ،
تقولين كلاماً لا أفهمُه
وتقولين هذياناً ، أفهمُه
بسرعةِ سقوطِ النيزكِ على رأسي .

أيّامٌ تتلوها أيّام ،
ونحن نحدّقُ في هذا الوثنِ ،
الممدّدِ على أرضِ الأنبياء
أسوقُ قطيعَكِ بعصا الراعي
أمامي تبكي رغباتُكِ ،
وتنفجرُ كأنّها قابَ قوسين أو أدنى
من القيامة .
نصالٌ تبرقُ في ليل

كلما لم أكن عائداً من أسفارٍ سحيقة
حين ارتميتُ في ظلالِكِ الثكلى .

هدأت جوارحي في اتّساعِ المكان
كانت الأرضُ الضيّقةُ
وكان نحيبُ الراحلين
تهشّمت أعضائي بين مدُنٍ شتّى
ورأيتُ الزلازلَ تحت قدميّ
دوحةَ أرض ونشوةَ سماء
هدراناً تحتلُها عصافيرَ
وملائكَ ترتطمُ بسقفِ البسيطة
حتّى بخيالَها الرائي ، طيوراً كسيحةً
تنقرُ فضلاتِ البشر .
البشر وقد عادوا إلى بطونِ أمّهاتِهم
ملوّثين وطاهرين .
هكذا يغدقُ الغيمُ على بنيه

وقد رحلتُ بعيداً في نزواتِكِ
فأدركَتْني الظهيرةُ في الرُبعِ الخالي
فَقُدتُ بعيري إلى شجرة غَافٍ
هجرَها البدوُ منذ أزمنةٍ ،
أُبيدت بقوّة الحضارة .
فيمّمتُ شطرَ وجهِك الأنقى
موئلِ القسوةِ وتاجِ طفولتِها ،
ووجدتُك
تركضين ، شجرةَ برار وحشيّةً
كانت البيوتُ الطينيّةُ
وكانت الأمطارُ
أزمنةَ الجفافِ واللعْنةِ الأزليّة .

أزمنةً تتكدّسُ أمامَ بابي
أزمنةً كواسرَ
كأنّما لم نكن نحن الذين قُدنا القطيعَ

إلى متاهة الوادي
والصهيل إلى الدارِ المقابلةِ
وقدنا السيول إلى بحارِها القُصوى .
وقد مرّت شائعاتُ القرى
أن رحل القادمون من البلادِ المتاخمةِ
ورحل الغجرُ
متبوعين بأقمارٍ ونيازكَ .

جبالٌ تتلوها جبالٌ ،
هذه الأبديّةُ من سرابِ الكائن
أيُّ أسرارٍ تخبّئها
أيُّ خلائق ستقذفُها ذاتَ يومٍ
في وجه كوكبِنا
وقد استحالَ إلى خردةٍ ورمادٍ؟

جنينٌ حياةٍ أخرى

وربّما هباءَ الأجيالِ وأحلامُها .
الجبالُ الجبالُ
مفازاتٌ من السراب والظلِّ
تنحدرُ على سفوحِها الذئابُ وبناتُ آوى
في المساءاتِ الكبيرةِ للقرى وللغَزَوات
وينحدرُ على ثغورها صليلُ الحديد .

رحمةً بنا أيّتها الجبالُ
بيقينِ مرابضكِ وشِعابكِ
لم تكوني سبباً لشقائِنا
لكنّكِ من تملكين مفاتيحَ الرحمةِ .
بتوسّلاتِ السلالةِ التي
تعاقبت تحتَ سطوتِك
الممتدَّةِ حتّى الربعِ الخالي
شعوباً وقبائلَ
تجرفُهم الرمالُ والفيضاناتُ

ويبقى أثرهم الوحيد على سطح الكوكب
المتلاشي في هذيانه .

□ □ □

أسمعُ نفيرَ الأقوامِ
قادماً من فجاجِه البعيدةِ
أسمعُ نحيبَ الصَفْردِ تحتَ الصخرةِ الكبيرة
التي كانت ظلالُها
تغطّي البلدةَ بكاملِها
وكانَ الليلُ على منحدر النزول ،
حينَ كان السَحَرةُ ينادونَ الفلاّحين ،
بالعودة إلى بيوتهم

هيمةٌ بحجم سماء كبيرة
تهطلُ مطراً وأحلاماً
تُهلهلُ نوّامَ السطوح وقارّةَ النخيل .
مروحةُ الجبال
سكينةُ الافاعي .

أسمعُ الرعاةَ
ينحدرون بأناشيدِهم نحو الهضبةِ
محدّقين في الأبدِ الجارفِ للسيول .

□ □ □

وكما تكرُّ الفصولُ على الصحراء
في شكل ذئبٍ وحيدٍ
وفي شكل مئذنةٍ ،
تنحدرُ الرمالُ من الأفقِ الشرقيِّ
المحاذي لبلاد الأحباش
حيثُ السَحَرَةُ ينادون بعضَهم
بأسماء مستعارةٍ .
لا أكادُ ألمحُ جزيرةَ النخلِ
قربَ مهبطِ العُقبان .
لقد فتكَتْ بها الرياحُ الهوجاءُ
وأمّها البِلى
كديارِ أحبّةٍ غربت للتوّ .

أسمعُهم ينادونني باسمي المستعارِ ،
أن اغربْ عن وجهِنا
لستَ منّا ولسنا منكَ .
وقد ناديتُهم قبل ذلك
أمواتاً وأحياءً

أن اغربوا عن . . .
لكنّهم ظلّوا يحدّقون في جثّتي
طوالَ أزمنةٍ ، ويغرزون مخالبَهم العمياءَ .
وقالوا لك نغلُ السُلالة
وظلّوا ينثرون الإشاعات حولَ قبرِ جدّك .

آنذاكَ احتدمَتْ حربُ القبائلِ
من جبلٍ إلى سِيبةٍ
تشاهدُ الموتَ معلّقاً في قرون الأكباش ،
التي تُهرَعُ بثغائِها نحو الأبراج .
أتذكّرُ حين ينحدرُ الرجال

على الهضباتِ وفوقَ التلالِ ،
مختلطين بهديرِ الجبالِ ونواحِ بناتِ آوى
غيمةُ الرصاص التي تجلدُ القريةَ
من أعلاها حتّى أقاصي الوادي
الذي كان غزيراً ومعتماً
أسلحةٌ تمتطي الجمالَ والبغالَ
تحتَ شمسِ آبَ الفائضةِ على الكون ،
وكانت المخلوقاتُ تحتسي حتفَها ،
جرعةً . . جرعةً ،
من غير مواربةٍ ولا دهاء .
حروبٌ واضحةٌ
وقتلى في مجدِ الظهيرة .

ينادونني باسمي
أن اخلعْ وردة رأسك ،
فأنت على أبوابِ الربعِ الخالي . . .

قتلى يملأون الصالةَ
ويشاركونني السريرَ وغرفةَ النوم
حتّى قنّينة النبيذِ .
أراهم يتآمرون في قعرِها
ويضحكون ،
محدّقين في جثّتي
بعيونٍ ، يبدو من أشكالِها ، أنّهم قدموا
من كلِّ جهاتِ الأرض .
عيونٌ ملؤُها الخيبةُ والتذكّر
وكنتُ أسمعُ نداءهم مُنذُ الولادةِ
يأتيني عبرَ قوسِ الأثير
لطفولةٍ جبليّة .
أسمعُ غناءَهم الصاعدَ من الأجداثِ
طيوراً بيضاءَ تخبطُ سقفي .
طيورٌ عاتيةٌ وأليمةٌ :
تلك أرواحُهم في سفَرِها الليليّ

نحو الأحبَّة .

ينادونني باسمي
أن ارحلْ من واحةِ الجنرالات
فمثلُك ليس نبيّاً
ولا أوتيَ رأسَ الحكمةِ .

□ □ □

ها أنت ، في البيداءِ ،
ضاربٌ كبدَ الجمالِ التي فقدت صحراءَها
غارقة في الوحل ،
الحقائبُ الجاثمةُ كغربانِ البين
في انتظارِ قافلةٍ لن تأتي ،
بطاقةُ السفرِ ،
التي رأيتَها البارحةَ في نومِكَ ،
وأنت تسألُ المسافرَ الأسودَ ،
أيُّ الطرقِ تؤدّي إلى اليمن؟
الكلماتُ التي تتراقصُ أمامَ عينِكَ

مثل ديكةِ الجنّ ،
وفي نومكَ تصرخُ :
ماتَ دليلي وتقاطعت بيَ الطرقُ .
الصحراءُ ماضيةٌ في غيِّها
في أيِّ مدينةٍ ستقضي هذه الليلةَ؟
أبوابُ العالمِ تخلعُها الريحُ
قبائلُ ترتجفُ من الذعرِ
وأخرى تنحدرُ نحوَ السفوحِ ،
محدّقةً في الأبد الجارف للسيل
لن أنزلَ من جبلي
فلا عاصمَ إلا الله .

□ □ □

تنقلبُ قليلاً ، إذ ترى نفسك في حانةٍ على منحدَرٍ مُضاءٍ بالعتمةِ ، وثمةَ عتّالون سكارى ، يقُصّون أطرافَك بمشارطَ صدئةٍ جلبوها من مستشفى دمَّرته الحرب .
أصدقاؤك يضحكون ،

لعبةٌ مسلِّيةٌ . . أليس كذلك؟
لكنَّ المشهدَ بحاجةٍ إلى ترميم ،
كأن تطلع أفاعٍ من بيوتِ الجيران كانوا يربّونَها كالكلاب ،
تُشخشِخُ في نومِكَ وتلحسُ أطرافَكَ المقطوعة .
هنودٌ ، يأخذونكَ ، عبرَ المحيطِ ويقذفونكَ في (جوا) ،
مواكبُ سحَرةٍ وبوذيّين وفيَلة ، نواحُها يؤرّقُ سكّان الخليج .

□ □ □

لا تستيقظْ هذا الصباحَ ؛ تأخذُ المظلّةَ لتراقبَ أهلَ الكهفِ
وكلبَهم الذي افترسته أفاعي الجيران .
تديرُ زرَّ التلفزيون ، تُخفضُ صوتَ المذيع حتّى خنقِه
وتودُّ لو تستطيعُ خنقَ العالمِ بالطريقة نفسِها ، أو أيِّ طريقةٍ
أخرى .
تنتشر الأبنية المسلَّحةُ بأسبابِ القوّةِ والضعفِ ، لدحرِ
فيالقِ الشمس ، ناطحاتُ سحابٍ مضاءةٌ بأسماءِ الذين
نزلوا حديثاً من الجبال وما زال دمُهم يسيلُ على البطاح ،
دليلُ السلالةِ والوحيدُ على إرثها الذي اقتُلعَ من عروقِه ،

وما زال الدمُ يشخبُ ويصرخُ وسطَ جَلَبة أبقارِ الهندِ وأسطُحِ المباني المكتظّةِ بأطباقِ التلفزةِ وغابةِ العيونِ المحدّقةِ في الفراغ .

□ □ □

الفجرُ ، زارعُ الفتنةِ في هذه البقاع ، فجرُ القتلةِ والعشّاقِ
عبرَ أضوائِه الأولى ، تزفرُ الجبالُ الهواءَ الثقيلَ
كأنّما تلدُ كوناً بكامله . . . كوناً يَسرحُ فيه البشرُ والحيواناتُ والأكاذيبُ ، ويسرحُ فيه السماسرة الذين أتوا من كلِّ بلادِ العالم لامتصاص ضرع الأرض وما خلّفته عظامُ حيوانات بائدة . يمضي الموكبُ في هذا الصباحِ الذي انفصلَ عن فجرِه الأوّلِ وأصبحَ غريباً وفظّاً وحارسَ ثكنات .

كلُّ شيء قابلٌ للبيعِ والشراءِ ، كلُّ شيءٍ قابلٌ للاندثارِ بسرعةِ وجوده وبسرعةِ لغطِ الألسنةِ الكثيرةِ وبكاءِ الأمّهاتِ على ضحايا الطرقِ التي تصرخُ بنَهَم ، هل من مزيدٍ لهذا النهرِ من الدماء . . .؟

هل من مزيدٍ لطبقاتِ الألم وهذا الوحشِ الكاسحِ بمفازاتِه وناطحاتِ سمائِهِ؟

شموسٌ كثيرةٌ ، في كلِّ منعطفٍ شمسٌ متحفِّزةٌ كذئبةٍ جائعةٍ . . والخلائقُ تمضي بشمّاعةِ أملِها الواهنِ ، وسطَ لججٍ من اللافتات والحِيَلِ السينمائيّة .

تمضي نحوَ القرى الرازحةِ في وحشتِها القصوى تحتَ طوقِ الجبالِ بأشباحِه وغُزاتِه وشُهُبه التي سقطت للتوِّ ، بعد سفَرٍ طويلٍ لتستقرَّ في هذه القيعانِ المسترخيةِ في حوض الأزل .

أهلُها الذين تغيّرت أحلامُهم ولياليهم وصاروا غرباءَ يلوذون بجريدِ النخل أيّامَ الجُمعِ كأنّما لآخرِ تعويذةٍ تقيهِمُ الاضمحلال .

صخورٌ وأطوادٌ وأطباقُ فضاءٍ ، وأحاديثُ تشبهُ زجاجاً يمضغُه متسكّعٌ في ليلِ مدينةٍ منكوبة ،

وجوهٌ ذابلةٌ ونحيلةٌ ، محاطةٌ بالأيّامِ الخوالي وحروب الثأر ؛

صارَ الموتُ يأكلُ من أطباقِهم بشهيّةٍ ، من فرطِ المقابرِ التي نبتَتْ عشوائيّاً ، أو نزلَت عليهم جاثمةً بطيورِها وموتاها وجاثمةً بالحنين ،

□ □ □

لن نحاورَ مُلوكَ السفحِ . ولن نقتفيَ أثرَ الرعاةِ الذين ما تزالُ ظلالهُم مائلةً في السقفِ ، كأنّما نزلوا اللحظةَ ، غاسلين أيديهَم في مياه الفجرِ ، مُيمّمين شطرَ القرى المجاورةِ . أولئك الذين يمخرون عبابَ القفرِ ويتلاشون خلفَ السُحُبِ الجافّةِ ، تاركين أصواتَهم تقودُ الليلَ الحائرَ بين أشجارِ السدرِ ، حيثُ كانت فؤوسُهم تحلمُ بالعودةِ إلى المنزلِ والسهَرِ مع الساهرين ، في ضوءِ القمرِ الكبيرِ المزيَّنِ بهالةٍ مضطربةٍ تشبهُ الجوهرَ المفقودَ للأشياءِ كلِّها
وللغيابِ كلِّه .
نغتسِلُ بمياهِ الصباحِ ونبكي ،
نغتسلُ بمياهِ العالم وقد شربناها وما زلنا عطشى . وكانت الطرقُ والمشرَّدون ، أسمعُهم . . يئِنّونَ تحتَ وسادتي ،

قادمين من الأزمنةِ البعيدةِ لمتاهِ الكائن ، وكانت النافذةُ مفتوحةً على آخرِ العالم ، ملتفّين حولَ بعضِنا والبروقُ تحيطُ بنا من جميعِ الجهات ، البروقُ الطائشةُ في هذا المحيطِ الذي يجلدهُ الموجُ ويخورُ في جروفِ جبالِه كقطيعِ أبقارٍ أراقَها الذعرُ فولّت أدبارَها نحو الرمالِ الجارفةِ للصحراء .

□ □ □

هذا الضبعُ الذي تلمعُ عيناه في الظلام ، صديقُ السَحَرةِ الذين ألقوا أخي في غياهبِ الجبّ ، وما زالت أمُّه تنتظرُ رجوعَه حتّى اليوم ، تعدّ الأيّامَ والشهورَ والسنينَ تتسقّطُ أخبارَه المتضاربةَ من أفواهِ الأهالي . بعضُهم شاهدوه مربوطاً على شجرةِ سمُر عارياً ووحيداً . وآخرون شاهدوه يسبحُ في الوادي ، سارحاً في السُيوح مع المواشي . أو شوهدَ في أميركا تائهاً في الشوارعِ من غيرِ وجهٍ ولا مأوى

أيّامٌ تتلوها أيّام

والانتظارُ ينهشُ جسدَها وعيونَها التي أصبحت بلا ضوءٍ ، حُفَراً مليئةً بالوحشةِ على الغائبِ الذي قُذفَ في خضمِّ التيهِ ، ربّما ثأراً لإخوة قضَوْا بالطريقةِ نفسِها

وربَّما لبيعِه في مدنٍ أخرى

وربّما . .

أيّامٌ تتلوها أيّام

لا أثَرَ للفقيد

لا أثَرَ للأمّ

لا أثَرَ للعائلة . .

هذه القصَّةُ التي روتها جدَّتي ورواها مجنونُ القرية . أتذكَّرُ اسمَه ، كان اسمُه عليَّ بنَ ساعدٍ ، لم أعدْ الآن أتذكَّرُ غيرَها ، لم أعد أتذكَّرُهم حين كانوا يُضرمون النارَ في الخيام ، عدا الصرخةَ التي كانت تقفزُ من قلبِ الحريقِ نحوَ العَدَمِ المنتصبِ كعصا الأعمى ، وحينَ كانوا يبيدون الأيّام والليالي في صيدِ القَطا والوعولِ ثم يتعفَّنون في بطنِ الحكاياتِ التي يرويها لاحقوهم من العجائزِ

والمجانين .
لم أعد أتذكَّرُ شيئاً ،
عدا كَوْني موجوداً في زاويةٍ ما من إبطِ هذه الميدوزا ،
أحكُّ رأسي من بقايا القملِ في سجنِ البارحةِ ، أتحدَّثُ
مع نفسي وأشباحي الكثيرةِ التي تمرحُ سعيدةً وتقفزُ
كالجنادبِ تحتَ مطرِ الربيعِ الذي لم أذق طعمَه منذ
قرون .

المساءُ ينزلُ على المدينة
يعقبهُ الليلُ والنهار
أفلاكٌ تقود بعضَها كعميانٍ شرسين ، ومجرّاتٌ غاضبةٌ
على وشَكِ الاقْتِتال ، لا شكَّ ستحصلُ على إثارةٍ أكبر
من حروبِ كوكبِنا التي أصبحت مضجرةً : يقولُ أحدُ
أشباحي ، وينطلقُ كالسهمِ نحوِ حاناتِ الدارِ البيضاء .
ويتمتمُ آخرُ : آهٍ ، مرَّ زمنٌ لم أذق فيه طعمَ التفاّح أو
أضاجعْ امرأةً من الخلفِ في فندقٍ هجَرَه زبائنُ الصيفِ
وبقيت صاحبتُه التي تحبُّ النكاحَ من الخلف .

ويصرخُ ثالثٌ : لم يعد لي مستقرٌّ في هذا المكانِ ، سأفجِّرُ ثورةً في غاباتِ الأمازون ، وإذا لم أُفلحْ سأحرقُ الهنودَ وأبقارَهم وأغانيَهم التي تزهقُ أعصابي في البيوتِ المجاورة .

ها أنا ألمحُ الجسرَ الذي مشت عليه الملايين قبلي وتبخّرت ، ألمحُه من البعيدِ بحَدْبته التي تصلُ الغابةَ بالبحر ، بعد أن أزهقَ التعبُ كياني ، ألمحُه كمخلّصٍ ينتظرُني منذ الأزل ، حيثُ أرتمي في الحانة المطلَّة على بحرِ الشمالِ الهائجِ ، أشتمُّ رائحة القراصنة والداعرات اللواتي آخذُ في مغازلتِهنَّ بعدَ الكأسِ الخامسَةِ وأحكي لهنَّ عن بطولاتٍ وهميَّةٍ وعن طقوسِ الختانِ والسَحَرَةِ الذي يطيرون عبر القارّات ، حيثُ أجدُ نفسي في صباحِ اليوم الثاني على سرير امرأةٍ لا أعرفُ اسمها أو شكلَها ، فأهربُ متسلِّلاً على أطرافِ أصابعي في الظلمة الحادَّة ، تحدوني رغبةٌ في رؤيةِ الفجرِ وهو ينطلقُ ، مَرِحاً أو كئيباً

على جسر خلاصي ، أن أراهُ يضربُ بحوافره الضوئيَّةِ أرضَ المدينةِ ويحملُني هكذا بين اليَقَظَةِ والنوم ، مخموراً ، إلى مخبأي في الضفَّةِ الأخرى .

□ □ □

شربنا مياهَ العالمِ ودمَه ولم نعد نبكي ،
لم يعد ذئبُ الفلاةِ قادراً على النحيبِ كما في الماضي ،
صار يشتَمُّ الدمَ المتيبِّس على سفحِ الكائنِ ويَرِدُ الآبارَ ولا يتذكَّرُ شيئاً من ماضي الفريسةِ والجبالِ والمدُنِ التي تناسلت فيها السلالةُ ، صارَ يعتكفُ متأمِّلاً ذريّتَه الضاريةَ ، مأخوذاً بهذا الفيض الذريّ الذي انبثقَ كإشراقةٍ في أحشائِه ، إثر عزلةٍ طويلةٍ في الخرائبِ والصحارى والبيوتِ المهجورةِ ، مفكّراً في تحوّلاتِ الكائنِ بأعماقِه ، وكان حين تمرُّ عليه جوارحُ الطيرِ والوحوشِ ، يبتسمُ ، ساخراً من سذاجةِ هذه الثقةِ بالنَفْسِ ؛ هو من يملكُ خيطَ المصيرِ لأقوام أشرفت على حتفِها . «نزهةٌ قصيرةٌ» يقولُ لنفسِه وينقلبُ وجهُ البسيطةِ إلى شيءٍ أجهَلُه لكنَّه

ينقلبُ ، وهذا ما يعِدُني ، لحظةَ الارتجاجِ الهائلِ لأكوانٍ ومخلوقاتٍ سَعَتْ منذُ ميلادِها نحو هذه الخاتمةِ التي شُرّفتُ بأن أكونَ مفتاحَ فجرِها الأوّل .

هَمْهَمَ رعدٌ واكفهرَّ ظلامٌ وهو في حيرةِ من يتّخذُ قراراً أخيراً . مشى خُطواتٍ كمن يراوغُ نفسَه ، فوقَ تلالِ طفولتِه المبعثرةِ ، حاولَ أن يحتميَ بشيءٍ منها ، شجرةٍ أو ذكرى أو نبع . لكنّه أحسَّ أن لا صلةَ له بهذه الأمكنةِ ولم تكن له طفولةٌ ما على هذه الأرض ، عاودَتْه نوبةُ الدُوار الحادِّ ، فسقطَ في هاويةِ نفسه .

ربّما حلمَ بليلةٍ أخيرةٍ مع أنثاه التي اختفت منذ سنين ، كانت تركضُ وهو وراءَها .

□ □ □

شربنا مياهاً سوداءَ

وبالَغْنا في نقضِ الحكمة .

ما الذي يجعلُنا نرتطمُ بالصباح كعدوٍّ؟

ونظلُّ جاثمين على فراشِنا الذَي نَمَتْ عليه الحشائشُ ،

بينما الأمواجُ تخبطُ السقفَ :
أراها في قلبِ المرآةِ
حاملةً قواربَ وحيتاناً
وأرواحَ بحّارةٍ غرقوا .
وفي الصباحِ نفسِه
نذهبُ نحوَ المكاتبِ ،
نشدُّ أحزمةَ المقاعدِ جيِّداً
ونُصغي لأنين الموتى تحتَ العرباتِ
وأنبياءٌ يملأون الفضاءَ باللعنة .
أيّتها الصحراءُ . . الصحراءُ
ماذا أبتغي من قلبكِ الذبيح؟
ومن مدافنِ قتلاكِ ونفطِك؟
إنّني لا أرى ، غيرَ نعشٍ يحملُه بوذيّون
وتعاويذِ أقوامٍ هلَكوا .

ماذا أرى ، أيضاً في جروفِك

المليئةِ بالنميمةِ
ومخلوقاتِك ، بمساحيقِها وعطورِها وأيّامِها الخاوية؟

أيّتها الصحراءُ
غادركِ الركبُ تحتَ شمسٍ ترضعُ أطفالَها
بأضواءٍ سامّةٍ .
غادركِ الحقُّ والباطلُ
وغادرتكِ الملحمةُ .

غادركِ الحربُ والسلامُ
وغادركِ الخريفُ الأكثرُ رأفةً
من ربيعِ المدُن
غادرَتكِ النجومُ الأولى والأيائِلُ
وضفافُ الأوديةِ
غادَركِ الزمانُ ،
وما يظنّونه كنزاً ليس سوى آلةِ حتفِكِ الرهيبة

غادَرتكِ رغبةُ المسافرِ في تفتّحاتِها الأولى
غادرَتكِ أحشاؤُك
يجرجرُها التجّارُ في أسواق البورصة .

غادَرتكِ شفافيّةُ الغيابِ
وذكرياتُ المحاربِ ،
بماذا أصِفُكِ :
أرملةُ العصورِ
أم مستودعُ نفاياتِ العالم .

□ □ □

بماذا نصِفُ أنفسَنا
وسطَ هذه الرمالِ الزاحفةِ
متّكئين على ساعدِ الخسارةِ
لكنّا لا نفرّطُ في شبرٍ من حضارةِ الأجداد ،
هكذا يقولُ الخطيبُ الذي يدحرجُ الحقائقَ من فمِه
كالجرذانِ

أيُّ أجدادٍ بقيت لنا
أيُّ ماضٍ أيّةُ آلهةٍ؟
نتسلّقُ ظلالَنا كما تتسلّقُ العظايا الجدرانَ
ونمضي صوبَ بحرٍ لا يشبهُ البحرَ
متّحدين بأرواحٍ محمولةٍ على
مِحفّةٍ (كانت فيما مضى أرواحَ أمواجٍ وأسماك) .

لا نَلوي على شيء
عدا كوننا موجودين في هذا المكان الذي سيسلِّمُنا بعدَ
قليلٍ إلى غابةٍ أمكنةٍ
لا تخومَ لها ،
لكن لا بأسَ بوجودِنا ونحنُ نرقبُ العالم
من منظارِ جبالٍ سحيقةٍ :
مكنسةُ الغيمِ
أقواسُ النصرِ
بومةُ الأرقِ

أوسمةُ الزعيمِ
عقاقيرُ منع الحَمل
مدنٌ تحترقُ وأخرى تفتكُ بها الكوليرا .

الاختراعُ الجديدُ للأسلحةِ
مصارعُ الإيدز
الحلاّقون الشواذُّ ، يمسحون ،
الشفرةَ بالمعطفِ ،
نباحُ الجيرانِ
- حكاياتُ كارلوس وعنترة
فتاوي الحَيْضِ والنفاسِ
حقنةُ الهيراوين ،
ومَعارضُ أخرى لا تُعلنُ عن نفسِها
لأنَّ الوقتَ قد تأخَّرَ ، تأخَّرَ الوقتُ عن النشيدِ الأوَّلِ .

□ □ □

تأخَّرَ الوقتُ عن بدوٍ رَحَلوا

تاركين زهرةً في طريقٍ
بينما عيونُهم تضطرمُ في المصحّات .
ماذا تبقّى لنا يا رضوى ؟
نحنُ أبناءَكِ الذين بختمِ البراءةِ الأولى
سُفِحْنا على أعتابِكِ من غيرِ دمٍ
تنامُ هادئاً على جوعٍ ، فارِداً جناحَيْ نسرٍ قتيل
سُفِحنا على أعتابِكِ من غيرِ دمٍ

أعضاؤُك ما زالت تحملهُا الريحُ نحو الأقاصي
ويكنس الكنّاسون برازَكِ في الصباح
لأنّ الشيخوخةَ لا ترحمُ الأوابد .
هناك في مأوى العَجَزةِ
ألمحُ أشباحَكِ تصدمُ بعضَها
ثمَّ تجلسُ مع المجاذيبِ في
الشِعابِ الشرقيّة

▫ وصول

السماءُ مشدودةٌ مثلَ قوسٍ
في انتظارِ صيفٍ لاهب
وأنا ما زلتُ أنتظرُ الغائبين
«الذين لن يصِلَ بهم قِطارٌ أبداً .»

▫ كوكب العري

العزلةُ تاجُ الحياةِ هنا
والسماءُ كوكبُ العُري الأنقى
وليست الأرضُ ، إلاّ ذلك القدرَ الهائلَ
من المظالمِ والقُروح .

▫ شاطىء الحيل (١)

جزُرٌ من النوارس والأحلام
كنّا نأتيه صِغاراً
عبرَ خطٍّ «السطوةِ»
حيث البحرُ ملتصقٌ بشفرةِ السماءِ
وها نحنُ كبارٌ
وهو عزاؤنا في هذا المساءِ القاتم .

---

(١) منطقة بحرية بعُمان .

▫ شاطىء الحيل (٢)

كان الصيّادون يجرّون شِباكَهم ،
وبينهم أعمى يجرُّ بعنادِ بصرٍ مفقودٍ ،
يسحَبونها ضخمةً ، فارغةً ،
لا يُجدي فيها شفاعةُ الضوءِ الأخيرِ للغروب .

في شاطىءِ الحيلِ
حيثُ تتكوَّمُ المدينةُ في البعيد .
تلك حقيقتُهم اليوميّةُ
حياتُهم الممزوجةُ بزبَدِ البحرِ

لا تستطيعُ تخمينَ أيِّ شيءٍ على وجوهِهم
عدا الشقوقَ المليئةَ
بمياهٍ ملحيّة .

▫ نساء غائبات

في الشاطىءِ نفسِه
يقذفُ البحرُ أحشاءَه المزهِرةَ
ليلةٌ عاصفةٌ
أسماكٌ ميّتةٌ
حطامُ سفنٍ غارقةٍ
جثثُ نوارسَ وأخرى للغيم
عظامُ قراصنةٍ على أذرعِهمِ القويّةِ
وشمُ الولادةِ

عملةٌ نادرةٌ
أرواحُ أباطرةٍ غرقت ممالكُهم
في البحرِ
أشباحُ نساءٍ غائباتٍ
كلُّ ذلك وغيرُه ، وهو يرغي
ويزبدُ في ظلامِه العميق .

▫ أرصفة الإشارة

من البعيدِ ، حيثُ يسكنُ الغيبُ
تُشيرين إليّ بإيماءة
كأنّما اليمامُ حطَّ على رأسِكِ الجميلِ
كأنّما الشُهبُ وأرواحُ البحّارةِ
وأرصفةٌ غادرتها من سنين ،
تُشيرين إليّ
طيورُ سمّانٍ عادت من هجراتِها الكثيرةِ
إلى شواطىءَ تحلمُ بالرحيلِ

في لحظةٍ يشطرُها البرقُ
تلوّحين بأيدٍ متعبة
في محطّات يختنقُ فيها الهواءُ
والمسافرون
على مقربةٍ من الطفولةِ

وكان شجرٌ ، تهزّه ريحٌ خفيفةٌ
ريحُ خريفٍ يطرقُ الأبوابَ والنوافذَ
ليأويَ إلى فراشِه الأثيرِ
على مقربةٍ من المذبحةِ وأفواجِ
الجلاّدين ، كان حلمٌ
وكان زمانٌ مطلقٌ
وكان الغيابُ الذي يملأُ الصالةَ بالضجيج .
على مقربةٍ من رأسي
تُحلّقُ طيورُك الرحيمةُ حول ملائكتِها
كما تحلّقُ الأغصانُ حولَ جذعِها المقطوع .

فأسٌ حجريّةٌ في غابرِ الأزمانِ
فأسٌ يمتلكُها حطّابٌ
أو جزّارٌ ،
وفي الثكنةِ أفكارٌ أخرى
عن ماسوف يأتي
أفكارٌ ونقيضُها .

باذخٌ مشهدُ النومِ أمامَ الأزرقِ الداهمِ
على الحُجُراتِ والأيّام
وباذخٌ مشهدُ البحرِ
نسوقُ قطُعانَه الخضراءَ في أحلامِنا .

تُشيرين إليّ كأنّما رفٌّ يمامٍ
حطَّ على خَصْرِكِ الجميل .

▫ لقالق

آهِ من يمتلكُ روحَ اللقالقِ
في عزلاتِها الكبرى أمامَ البحرِ
وحيدةً تنامُ وحيدةً تستيقظُ
بعيدةً عن السِرب .
كانت في الماضي تتنزَّهُ على أطرافِ النهرِ
بأعماق الوادي
تُطاولُ الجبالَ بأعناقِها ، وهي تمشي مليئةً بالرجفةِ أمامَ
جَرَيانِ الأشياءِ ، لكنَّها سعيدةٌ كمن يعرفُ غدَه ، معرفةَ

الأجنحةِ وهي توغلُ في سرابِ المسافةِ بأرضٍ لا قرارَ لها .
كانت البنادقُ مهيّأةً للصيدِ ،
بنادقُ بأيدي صبيةٍ يصلون إلى رأسِ الوادي بنهايته في
أعالي (سمائلَ)
وكانت اللقالقُ تفصدُ الهواءَ الفاسدَ
فوقَ الرؤوس .

---

(١) منطقة بعُمان .

▫ أمـومـة

أمّهاتنُا اللواتي خلَّفناهنَّ وراءَنا
يجلسن الآنَ في بهوِ البيتِ
بجباهٍ موشومةٍ بالأرقِ
وسواعدَ أنهكَتْها الحقولُ
وفحولةُ رجالٍ ماتوا .
يجلسن الآن على عتبةِ رنينٍ غامضٍ
الأحاديثُ ، كأنما مرّت عليها أحقابٌ ،

لا نكادُ نصغي لوقعِ حفيفِها العابرِ
إلاّ ويمتلىءُ البهوُ بالغَياب .

دعاء

ثقيلٌ أمرُ هذا الليلِ
بمعاولهِ ومعادِنهِ التي تغطسُ في القلبِ ،
ثقيلٌ أمرُ هذه البلاد
يا إلهي أزِحْها قليلاً عن كاهلي
عن قرنِ ثورِك الذي تركتَه يحملُ الصخرةَ
هائماً في البراري ،
لا موتَ يأتيه ولا حياةَ
بريقُ العذابِ ينزُّ من مقلتيه الحجريّتين

أزِحْ قليلاً هذه الصخرةَ
هذه الأرضَ
هذه البيضةَ العائمةَ في الأفلاكِ
والكأسَ الفارغة من خمرِها .

أزِحْها قليلاً
فلسنا الورثةَ الصالحين
إلهي .

▫ هذه الذرى

كلُّ هذه الذُرى
ولا أحدَ تركلُه رغبةُ الصعودِ
إلى جبل .

الفهرس

صحـــراء	٥
موســيقى	٧
عوارض تكييف	٩
ترانزيـــت	١١
منـــازل	١٣
علاقـــة غاربـــة	١٧
ولادة	١٨
عقـــــاب	١٩
حكاية هذا الصبـاح	٢١
شـــــبه	٢٢

طائـــر	٢٣
زيـــارة	٢٤
غـــرفة	٢٥
ســـفر	٢٦
حنـين الأعالي	٢٧
غيـــاب	٢٩
في وصف رحلة	٣٠
امـرأة الأنـباط	٣٢
منذ ستة وعشرين عاما	٣٥
الصيف الأبدي	٤٣
هذيـان الجبال والسحرة	٤٧
وصـــول	٧٦
كوكب العـري	٧٧
شاطىء الحيل (١)	٧٨
شاطىء الحيل (٢)	٧٩
نساء غائبات	٨١
أرصفة الاشـارة	٨٣
لقـــالق	٨٦
أمـــومة	٨٨
دعـــاء	٩٠
هذه الذرى	٩٢

▫ إصدارات الشاعر

* نورسة الجنون : دمشق ١٩٨١
* الجبل الأخضر : دمشق ١٩٨٣
* أجراس القطيعة : باريس ١٩٨٤
* رأس المسافر : المغرب ١٩٨٦
* مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور : عُمان - الإمارات ١٩٨٨
* ذاكرة الشتات : بيروت ١٩٩٢
* منازل الخطوة الأولى : القاهرة ١٩٩٣
* رجل من الربع الخالي : بيروت ١٩٩٤

يصدر قريباً : معجم الجحيم

جبال

كانت الأرضُ الضيّقةُ
وكان نحيبُ الراحلين
فهشّمت أعضائي بين مدُنٍ شتّى
ورأيتُ الزلازلَ تحت قدميّ
دوخةَ أرضٍ ونشوةَ سماءٍ
غدراناً تحتلُّها عصافيرَ
وملائكَ ترتطمُ بسقفِ البسيطة
حتّى يخالَها الرائي ، طيوراً كسيحةً
تنقرُ فضلاتِ البشر .
البشر وقد عادوا إلى بطونِ أمّهاتِهم
ملوّثين وطاهرين .

هكذا يغدقُ الغيمُ على بنيه
وقد رحلتُ بعيداً في نزواتِكِ
فأدركَتْني الظهيرةُ في الرُبع الخالي